مكتبة المشورة الكتابية

LIVING IN A FALLEN WORLD

DayOne

أعنّي!
أحد أحبّائي مُصاب بالسرطان

Deborah Howard
ممرضة معتمدة للرعاية المسكّنة
ودار رعاية المصابين بالأمراض المستعصية

المُنَقِّح الاستشاري:
Dr. Paul Tautges

المحتويات

مقدمة ٥

١ دعني أسير معك ١٠

٢ في المعرفة قوة ٢١

٣ ما هي الخيارات؟ ٣٤

٤ في يوم خوفي، سوف أتّكل على الله ٥٠

مشروعات التطبيق الشخصي ٦٩

إلى مئات مرضى السرطان

(وعائلاتهم) الذين وضعهم الله في طريقي

كممرضة للمصابين بالأمراض المستعصية،

ولأجل ما علّموني إياه–

وإلى أخي الحبيب، John Koon،

الذي في طريقه تسامى فوق السرطان،

وكان قدوة ومرشدًا تقيًا.

مقدمة

لن يجيب هذا الكتيّب على كل أسئلتك بخصوص مرض السرطان. لكن المقصود منه هو أن يكون كتابًا تمهيديًا – أي أن يُقدّم المعلومات الأساسية التي تريد وتحتاج أن تعرفها بصفتك مريضًا بالسرطان أو قريبًا من شخص عرف مؤخرًا أنه مريض بالسرطان.

في هذا الكتيّب، سوف تجد تعريفات عن السرطان وكيف يتكون وينمو وينتشر، وستجد أيضًا وصفًا لبعض أشهر خيارات العلاج الخاصة به. وبما أنني ممرضة معتمدة للرعاية المسكّنة وللمُصابين بالأمراض المُستعصية، وقد عملتُ مع مرضى السرطان لعشرين عامًا تقريبًا، فلي خبرة بالأمراض المُستعصية.

سوف تجد أن هذا الكتيّب يتحدث مباشرة في الأساس للمسيحيين المؤمنين الذين يتبعون ربنا يسوع المسيح. وبالرغم من أن المعلومات الطبية المُقدّمة تنطبق

على الجميع، إلاأن التذكيرات الروحية بمواعيد الله لاتنطبق على الجميع. فإن مواعيد الكلمة المقدّسة التي أشير إليها كثيرًا مُقدّمة لشعب الله فقط.

أريد أن أقول كلمات قليلة للقُرّاء من غير المؤمنين، بقلب يتوق إلى أن يُقبل الجميع إلى الخلاص بالرب يسوع المسيح،. ربما لم تسمع من قبل عن احتياجك للخلاص. لكن الموقف الذي جعلك تُمسك بهذا الكتيّب ربما جعل هذا الموضوع مناسبًا بالأكثر لك. وأريد أن أقول لك إن الخلاص لا يعتمد على فعل الأعمال الحسنة، أو أن تكون أعمالنا الحسنة أكثر من سيئاتنا. فالكتاب المقدّس يقول في **رومية ٩: ١٦**

فَإِذًا لَيْسَ لِمَنْ يَشَاءُ وَلاَ لِمَنْ يَسْعَى بَلْ لِلَّهِ الَّذِي يَرْحَمُ.

فالخلاص يعتمد بالكامل على الله!

كما ترى، فإن الله قدوس للغاية ولا يستطيع أن يسمح بالخطية. وبالرغم من أننا بناء على رغباتنا يمكننا أن نختلق الأعذار التي تُرضينا، إلا أن هذه الأعذار لا يمكنها أبدًا

أن تُرضي متطلباته. وهذه هي الحالة التي يتدخل فيها يسوع. فهو حامل خطايانا، هو مُخلّصنا. ومع أنه كان بلا خطية، إلا أنه حمل في نفسه كل الخطايا البائسة لكل شعبه – في الماضي والحاضر والمستقبل. ثم مات على الصليب ليسدد عقاب هذه الخطايا حتى يمكن لشعبه أن يُحسبوا أبرارًا. أي أن جوهر الأمر هو أنه أعـــطانا «صـــلاحه» في مقابل «رداءتنا وشرّنا» وسدد عقوبتنا بالكامل.

وَإِذْ كُنْتُمْ أَمْوَاتًا فِي الْخَطَايَا ... أَحْيَاكُمْ مَعَهُ، مُسَامِحًا لَكُمْ بِجَمِيعِ الْخَطَايَا، إِذْ مَحَا الصَّكَّ الَّذِي عَلَيْنَا فِي الْفَرَائِضِ، الَّذِي كَانَ ضِدًّا لَنَا، وَقَدْ رَفَعَهُ مِنَ الْوَسَطِ مُسَمِّرًا إِيَّاهُ بِالصَّلِيبِ.

(كولوسي ٢: ١٣-١٤)

عندما مات يسوع على الصليب فعل هذا نائبًا عنا، فحمل الدينونة التي نستحقها. يؤكد الكتاب المقدّس في **بطرس الأولى ٣: ١٨** على هذا التعليم:

فَإِنَّ الْمَسِيحَ أَيْضًا تَأَلَّمَ مَرَّةً وَاحِدَةً مِنْ أَجْلِ الْخَطَايَا، الْبَارُّ مِنْ أَجْلِ الأَثَمَةِ، لِكَيْ يُقَرِّبَنَا إِلَى اللهِ، مُمَاتًا فِي الْجَسَدِ وَلَكِنْ مُحْيىً فِي الرُّوحِ.

لم يبقى المسيح إذًا على الصليب إلى الأبد، كما أنه ليس في القبر الذي وضعوه فيه حتى الآن. ومع أننا نتذكّر الصليب ونشكر الله إلى الأبد عليه، إلا أننا عندما نفكّر في المسيح يجب أن نفهم أنه قد هزم الموت وقام وصعد إلى السماء حيث يجلس عن يمين الله الآب. وقد ضمن النصرة لكل واحد من شعبه، وبسبب رحمته يمكننا أن نطمئن في ذلك الرجاء الموعود به. ويمكنك أنت أيضًا أن تكون واحدًا من الناس الذين مات لأجلهم.

فالخبر السار إذًا هو: إن اعترفنا بخطيتنا وعدم قدرتنا على استحقاق السماء، وألقينا بأنفسنا على رحمة الله، سوف يفدينا بدم ابنه يسوع المسيح. إن المسيح يصنع المبادلة بين بره الكامل في مقابل طبيعتنا الخاطئة. عندها فقط يمكننا أن ندخل الملكوت بدون أية

شائبة للخطية – لأنه أزال خطيتنا ودفع العقوبة التي كانت علينا.

لذلك فإني أطلب منك، إذا لم تكن قد فعلت هذا بالفعل، أن تلقي بنفسك على رحمة الله. اطلب منه أن يُخلّصك. وسوف يفعل هذا! يقول الكتاب المقدّس في **رومية ١٠: ٩**

... إِنِ اعْتَرَفْتَ بِفَمِكَ بِالرَّبِّ يَسُوعَ وَآمَنْتَ بِقَلْبِكَ أَنَّ اللهَ أَقَامَهُ مِنَ الأَمْوَاتِ خَلَصْتَ.

إنه وعد! وصلاتي أن تلتفت إلى الله فتنال هذا الوعد.

يُعد اجتياز السرطان أمرًا صعبًا، واجتيازه بدون الرجاء الذي ينتج من العلاقة مع الرب يسوع المسيح هو أمر رهيب.

1 دعني أسير معك

«آسف، أظنّني لم أفهم هذا. أنا مُصاب بماذا؟»

«قلت لك إن نتائج الاختبارات حاسمة. إنك مُصاب بالسرطان. أنا آسف جدًا.»

لا يهم ما الذي حدث قبل أن نسمع نحن أو أحبّاؤنا هذه الكلمات، أو ما يحدث بعدها. في تلك اللحظة المتجمدة الأولى، غالبًا ما نُصبح مخدّرين بالتمام. هذه الكلمات لها تأثير قوي لدرجة أنها تَشلّنا عاطفيًا – ربما لشهور!

ويكون رد فعلنا الأول تجاه هذه الكارثة هو عدم التصديق: لا، لا يمكن أن يكون هذا. هذه الاختبارات مُخطئة بالتأكيد. ربما نحتاج إلى أن نستشير طبيبًا آخر! لايُمكن أن يحدث هذا لنا.

ربما نكون نحن الذين نتلقّى هذا التشخيص بأنفسنا، أو ربما تكون هذه الكلمات البغيضة موجهة إلى شخص ما من أحبائنا. وربما يكون هذا أسوأ.

صفحة من حكايتي

أتذكّر اليوم الذي ركبت فيه أنا وأخي جون السيارة إلى المتنزه المجاور. كان يريد مكانًا جميلًا هادئًا يمكننا أن نتحدث فيه.

عرف جون أنه مُصاب بالسرطان عندما كان في السابعة والأربعين من عمره. وفي السنوات القليلة التالية، خضع للعلاج الكيميائي والإشعاعي، والمُسكنات والانتكاسات. وفي كل مرة يتم فيها عمل المسح، كنّا كلنا نُصلّي أن يكون خاليًا من المرض.

لكن في ذلك اليوم، بعد أربع سنوات تقريبًا من تشخصيه الأول، أخبرني في هدوء نتائج آخر مسح أُجري له. لم يظهر فقط أن الورم قد عاد إلى رئتيه، وإنما حدثت أورام أخرى في أماكن أخرى من جسده. وقال ببساطة: «هذا هو الأمر يا عزيزتي.»

وأثناء صراعي للحفاظ على رباطة جأشي، حولّت عيني إلى وجه أخي ورأيت تعبيرًا عن السكينة الهادئة الكاملة.

فسألته: «هل أنت على ما يرام حقًا بالرغم من هذا يا جون؟ أم أنك فقط تحاول أن تكون شُجاعًا أمامي؟ لست مضطرًا أن تتصرف هكذا. ليس معي. ليس على الإطلاق.»

فضحك في هدوء، وكانت عيناه الزرقاوتان تتماشيان مع زرقة السماء. وبالرغم من أن عينّي كانتا ممتلئتين بالدموع، إلا أن عينيه كانتا صافيتين ولامعتين بل وأيضًا مرحتين. أمسك بيدي وقال لي: «دعيني أشرح لك شيئًا. لو كانت هذه الأنباء تخصك أنت، لا أعلم إذا كان باستطاعتي أن أتحمّلها أم لا. لكن بما أنها تخصني أنا، فلا مشكلة لديّ في هذا. فأنا في موقف مضمون فيه الربح في كل الحالات. إذا منحني الله المزيد من الوقت هنا، سوف أربح. لكن إذا لم يمنحني ذلك الوقت، فسأظل رابحًا أيضًا. أنا أعلم أنّني سأكون

مع المسيح في السماء. هذه نصرة حقيقية. لذلك ليس علي أن أبكي وأصرخ وألقي بالأشياء. فأنا على ما يرام حقًا بالرغم من هذا. وكلما اقتربت أكثر، زادت فرحتي!»

كانت هذه هي أول مرة أُدرك فيها أنه أحيانًا ما يكون سير هذا الطريق مع أحد أحبائك أصعب من أن تُسيّره أنت نفسك. إذا كنت مؤمنًا، فلك كل الحق في أن تتطلّع إلى ما هو بعد الموت!

لكن هذا لا يعني بالتأكيد أنك لن تحزن على موتك. بعض الناس يواجهون وقتًا أصعب من غيرهم، فنحن نحتاج إلى الوقت لكي نتأمل في حياتنا وندعها تمضي في النهاية. لكن المسيحي المؤمن الذي يواجه الموت لا ينتظره سوى الفرح والعجائب المذهلة.

لكن منظور الشخص الذي يتحتم عليه أن يجد طريقة يقول بها وداعًا يختلف قليلًا. بالنسبة لجون، كان يعني في النهاية أن يتحد مع المسيح، «أن يذهب لبيته». لكن بالنسبة لي كان هذا يعني أن أفقد أخي. كان يعني أن أجتاز الحياة بدونه.

بالإضافة إلى هذا، فإن الإصابة بالسرطان بالنسبة للملايين ليست حُكمًا بالموت. لكنه الوقت الذي تركّز فيه حياتهم بالضرورة على العلاج – أي تتوجه طاقتهم ومجهوداتهم إلى تَحسّن حالتهم. وتصير خبرتهم مع السرطان فقرة فاصلة بارزة في حياتهم. ثم تستمر الحياة بالنسبة لمن يهزمون المرض.

يعتبر زوجي مثالًا على هذا. فبعد أن تم تشخيصه بأنه مصاب بسرطان البروستاتا في عام ٢٠٠٧، اختار أن يخضع لعملية إزالة البروستاتا. وهو الآن بنعمة الله خالٍ من السرطان. بعد الجراحة، عانى من مشقة طفيفة وقضى فترة نقاهة قصيرة، واختبر بعض التغيرات الثانوية نتيجة العملية الجراحية، لكنه رجع بوجه عام إلى حياته كالمعتاد.

لكن، نظرًا لعملي في دار رعاية المصابين بالأمراض المُستعصية، فلم يكن لدي الكثير من المرضى الذين كانت نتيجتهم محببة هكذا. بل قد شهدت مئات العائلات

يسيرون مع أحبائهم في طريق نهاية حياتهم، وهو نفس الطريق الذي سرته أنا مع جون.

لقد شهدت مرارًا وتكرارًا الطرق التي انتصر بها هو وغيره على المرض. كما رأيت أيضًا النعمة التي أظهرتها العائلات أثناء رحلتهم مع أحبائهم عبر حقل الألغام الذي يمثله السرطان.

أُصلّي أن يشعر الشخص الذي يسمع التشخيص بأن هذا الكتيّب يتحدث عنه. والأكثر من هذا، أنني أومن أنه يتحدث عن أحبّائهم أيضًا، أصحاب النفوس الشجاعة الذين أكتب لهم هذا الكتيّب خصيصًا.

ألا يوجد مفرّ في الأفق؟

الخطوة الأولى في هذه الرحلة هي تخطّي الإنكار. يُعتبر الإنكار عدوًا رهيبًا يعوق الحركة البناءة. فهو يضع حاجزًا بينك وبين الله عندما يكون هذا هو آخر شيء تريده! يجب ألا يكون هناك في حياتك أو في توجّهك ما يُعطّل صلواتك له.

عندما نكون في حالة الإنكار، فنحن بهذا نُنكر عناية الله. يجب أن نتذكّر أن الله هو المُخطِّط الرئيسي الإلهي لحياتنا. لا يحدث لنا شيء لا تصنعه سيادته ولا يقصد به مقاصده. فالموت والمرض ووجع القلب، أي كل نتائج السقوط الأصلي للإنسان في جنّة عَدْن، كلها جزء من خطته لنا.

لا تُعطى لنا عناصر الحياة هذه كنزوة. فلا علاقة لها بالفرصة أو المصير، لكن لها علاقة وثيقة بالخطة الدقيقة الخاصة بالشخص البار، والتي وضعها الآب القدوس الذي يأتي بهذه الأشياء إلى حياتنا لقصد إلهي.

أمر طبيعي بالنسبة لنا أن نحاول الهروب من المصيبة. ليس هذا جديدًا على جيلنا. فالملك داود يصف ببلاغة هذا النوع المحدد من العذاب في **مزمور ٥٥: ٤-٧** فيقول:

يَمْخَضُ قَلْبِي فِي دَاخِلِي
وَأَهْوَالُ الْمَوْتِ سَقَطَتْ عَلَيَّ.
خَوْفٌ وَرَعْدَةٌ أَتَيَا عَلَيَّ

وَغَشِيَنِي رُعْبٌ.
فَقُلْتُ: «لَيْتَ لِي جَنَاحًا كَالْحَمَامَةِ فَأَطِيرَ وَأَسْتَرِيحَ!»

يميل معظمنا إلى الهروب من الضغوط. كما أن لدينا ميول أخرى غير جذابة أيضًا. قد نريد أن ننتحب أو نتذمر أو ننتقد أو نستسلم. لكن الكتاب المقدّس يقول لنا:

اِحْسِبُوهُ كُلَّ فَرَحٍ يَا إِخْوَتِي حِينَمَا تَقَعُونَ فِي تَجَارِبَ (تدخلون في محن) مُتَنَوِّعَةٍ، عَالِمِينَ أَنَّ امْتِحَانَ إِيمَانِكُمْ يُنْشِئُ صَبْرًا. وَأَمَّا الصَّبْرُ فَلْيَكُنْ لَهُ عَمَلٌ تَامٌّ، لِكَيْ تَكُونُوا تَامِّينَ وَكَامِلِينَ غَيْرَ نَاقِصِينَ فِي شَيْءٍ.

(يعقوب ١: ٢-٤)

تأمّل في هذه الحقائق. أمر مهم بالنسبة لنا أن نفهمها، ونُخبّئها في قلوبنا وعقولنا حتى يمكننا أن نُطبّقها على الضغوط التي نختبرها.

توجد آية أخرى جديرة بالتأمل في الأوقات العصيبة وهي **إشعياء ٢٦: ٣**، وتقول:

ذُو الرَّأْيِ الْمُمَكَّنِ تَحْفَظُهُ سَالِمًا سَالِمًا لأَنَّهُ عَلَيْكَ مُتَوَكِّلٌ.

هل تعني عبارة «سالمًا سالمًا» أننا لن نتعرض أبدًا للاختبار أو الامتحان؟ كلا، لكنها تعني أننا يمكننا أن نكون في سلام في وسط التجربة.

يجب ألا تمثل لنا صراعاتنا الأرضية مفاجأة. تذكّر **بطرس الأولى ٤: ١٢**

أَيُّهَا الأَحِبَّاءُ، لاَ تَسْتَغْرِبُوا الْبَلْوَى الْمُحْرِقَةَ الَّتِي بَيْنَكُمْ حَادِثَةٌ، لأَجْلِ امْتِحَانِكُمْ، كَأَنَّهُ أَصَابَكُمْ أَمْرٌ غَرِيبٌ.

تبيّن لنا الكلمة المقدّسة أن حياة المسيحي المؤمن مطعّمة في عمومها بالمعاناة. في الحقيقة إن لنا الوعد بالضيقات! يقول لنا يسوع:

قَدْ كَلَّمْتُكُمْ بِهَذَا لِيَكُونَ لَكُمْ فِيَّ سلاَمٌ. فِي الْعَالَمِ سَيَكُونُ لَكُمْ ضِيقٌ وَلَكِنْ ثِقُوا: أَنَا قَدْ غَلَبْتُ الْعَالَمَ.

(يوحنا ١٦: ٣٣)

وهكذا لا يُخبرنا الكتاب المقدّس إن المؤمنين لن يتألموا، بل إنه يؤكد لنا أننا سوف نتألم! لكنه يحثنا على أن نصبر تحت ضغوط هذا النطاق الأرضي. ما معنى أن نصبر؟ يقول لنا الكتاب المقدّس إننا عندما نظل صابرين فسوف نصير مكمَّلين وتامين، أي ناضجين روحيًا ولا ينقصنا شيء! إن التجارب تؤدي إلى قوة ساكنة وتغيير للحياة! ومن خلال التجارب والضيقات والمحن يُشكّلنا الله لنكون كما يريدنا أن نكون:

وَلَيْسَ ذَلِكَ فَقَطْ بَلْ نَفْتَخِرُ أَيْضًا فِي الضِّيقَاتِ عَالِمِينَ أَنَّ الضِّيقَ يُنْشِئُ صَبْرًا وَالصَّبْرُ تَزْكِيَةً وَالتَّزْكِيَةُ رَجَاءً وَالرَّجَاءُ لاَ يُخْزِي لأَنَّ مَحَبَّةَ اللهِ قَدِ انْسَكَبَتْ فِي قُلُوبِنَا بِالرُّوحِ الْقُدُسِ الْمُعْطَى لَنَا.

(رومية ٥: ٣-٥)

تثقل علينا المعاناة، أحيانًا عاطفيًا، وأحيانًا روحيًا – وأحيانًا جسديًا. فالمرض والموت جزء من الحياة. ومن المهم أن ننظر إلى آلامنا من خلال عدسة الكتاب المقدّس.

وهكذا فإن التشخيص بالسرطان لا يعني أن الله قد تخلّى عنا. فالسرطان ليس خارج يديّ الله أو أكبر منه، بل إنه مجرد أداة أخرى في صندوق أدواته الإلهي. ولهذا فعندما نجتاز في مثل هذا النوع من التجارب المؤلمة، لابد أن نذكّر أنفسنا باستمرار بأن ألمنا ومعاناتنا لهما قصد!

قد لا نستطيع أن نرى هذه النتائج بعيوننا الأرضية أو نفهمها بعقولنا الأرضية المحدودة، لكن هناك قصدًا عامًا وشاملًا لحياتنا – وهو مشيئة الله «**الصَّالِحَةُ الْمَرْضِيَّةُ الْكَامِلَةُ**» (**رومية ١٢: ٢**).

سوف تظل معاناتنا تُنتج نتيجتين – الخير لنا والمجد لله. دائمًا!

٢ في المعرفة قوة

عندما يحل الدمار، قد يكون حافزنا الأول هو أن نهرب منه. لكننا نحتاج بدلًا من هذا إلى أن نتمسك بالكتاب المقدّس ونثبت راسخين تحت ضغط ضيقاتنا. كيف إذًا يمكننا أن نَثبت أثناء انتقالنا إلى ما وراء الإنكار؟

إن الإجابة بسيطة بالرغم من أن المهمة نفسها قد تكون شاقة. أولًا، يجب عليك أن تسأل نفسك إن كان مُمكنًا أن تكون في حالة إنكار. اطلب من الله أن يساعدك على أن ترى الموقف بوضوح وأن يعطيك القوة والحكمة للتعامل معه. بعد هذا، انظر نظرة واقعية لموقفك، وتعلّم كل ما يمكنك تَعلّمه منه (جوانبه الجسدية والعاطفية

والروحية). سرعان ما سيكون باستطاعتك أن تستبدل التظاهر [عدم الواقعية] بالحقيقة. بهذه الطريقة، يُمكنك أن تتخطى شلل الإنكار لتصل إلى قبول المهمة الحالية ... عندها فقط، عندما تتأصل في الحقيقة، يُمكنك بحق أن تكون معينًا ومعزّيًا فعّالًا لشخص آخر يحتاج إليك.

ولهذا فإن أحد أكثر الطرق فعالية في تخطّي الإنكار هو التعليم. عندما يعمل قائد عسكري على وضع خطته للمعركة القادمة، يسعى لأن يعرف مناطق قوة عدوه ومواقعه وتشكيلاته، ويفهم كيف كانت تعمل في الماضي حتى يمكنه أن يتنبأ بدقة أكثر بتحركاتها المستقبلية ويضع استراتيجية لهزيمتها.

يجب أن نفعل الشيء ذاته مع السرطان. فالمعرفة تمثل قوة على هذا العدو. نحتاج أن نعرف مدى قوته، وما هو موقعه، وإلى أين يبدو أنه يتجه. نحتاج أن نفهم الطريقة التي تصرّف بها في الماضي حتى يمكننا أن نتوقع ما سيحدث بعد ذلك.

اجعل نفسك خبيرًا في النوع المحدد من السرطان الذي أصاب من تحبه. تختلف أنواع السرطان في سلوكها، فالبعض ينمو بسرعة، والبعض ينمو ببطء. البعض ينتشر بسرعة، والبعض ليس كذلك. البعض يحظى بمعدل شفاء مرتفع، والبعض الآخر ... حسنًا، ليس كذلك. لذلك تَعلّم عنه. اقرأ. تحدث مع الناس الذين اجتازوا هذا الأمر. اذهب إلى زيارات الطبيب مع من تحبه كلما أمكن هذا. اطرح الأسئلة كلما ازداد فهمك، استطعت أن تواجه المرض بصورة أفضل. إذا تعرّفت على مساره المعتاد، فسوف تكون في حالة أفضل لاتخاذ القرارات حول انتقاء العلاج أو رفضه.

ما هو مرض السرطان؟

هذا الكتاب ليس مخصصًا لمعالجة كل التفاصيل الدقيقة لمرض السرطان. فأبحاث السرطان تخرج نتائج ومعلومات بمعدلات مذهلة. حتى علماء دراسة الأورام (المتخصصون في السرطان) يتعلّمون شيئًا جديدًا عنه في كل يوم. لكن ما يلي هو نظرة عامة عن هذا المرض المُعقّد.

السرطان هو أية مجموعة من الأمراض تشتمل على نمو غير مقيد لخلايا غير طبيعية في الجسد. ويمكن أن يتكـــون في أي عضو أو نســـيج تقريبـــاً، حتى في النخاع، حيث تتكون خلايا الدم.

تتحور (تتغير) الخلايا الطبيعية بطريقة ما إلى خلايا غير طبيعية. وبمجرد أن تُنتَج هذه الخلايا غير الطبيعية، تتكاثر بسرعة. ثم تتجمّع مجموعة من هذه الخلايا مكونة ما نعرفه باسم الورم والذي يبدأ صغيرًا جدًا وينمو عادة بمعدل متزايد باستمرار.

تنمو هذه الخلايا وتنقسم بصورة أسرع من الخلايا الطبيعية ويظهر فيها نقص التمييز، والذي يعني ببساطة أنها تكفّ عن التصرف مثل الخلايا الطبيعية التي حولها. على سبيل المثال، توجد وظيفة معينة لخلايا القلب، وكل الخلايا التي في القلب تتصرف بطريقة معينة حتى يمكن تتميم هذه الوظيفة. وبالمثل، فإن الخلايا الأخرى تتصرف بطريقة ما تمكنها من إتمام وظيفتها.

يقال عن السرطان إنه مرض تصاعدي لأن هذه الخلايا غير الطبيعية تتكوم إلى أن تبدأ الخلايا تجعل العضو يتصرف بطريقة مناقضة لوظيفته وتصميمه الأصليين. وتشبه الأورام الطفيليات قليلًا، فهي غير مفيدة بالنسبة للجسد لكنها تستهلك مغذيات الجسد (وهو أحد الأسباب التي لأجلها قد يختبر ضحايا السرطان فقدانًا كبيرًا للوزن).

العلامات التحذيرية للسرطان

تُعتبر الأعراض المصاحبة للسرطان كثيرة ومتنوعة. وتعتمد الأعراض على موقع السرطان، ونوع النسيج، ومدى نمو الورم. وفيما يلي قائمة بأشهر أعراض السرطان. يُمكن أن يكون أي منها علامة تحذير على السرطان ويحتاج إلى التحقق منه.

- فقدان الوزن السريع غير المبرر.
- عدم شفاء قشرة جرح أو تقيح أو قرحة خلال حوالي ثلاثة أسابيع.

- وجود نمش أو شامة تتغير في الحجم و/أو الشكل و/أو اللون، وقد تنزف دمًا أو تثير الحكة.
- حدوث نوبات صداع شديدة متكررة.
- وجود صعوبة في البلع.
- وجود بحة في الصوت لاتزول خلال أسبوع تقريبًا.
- وجود كحة أو بصاق به دم.
- اختبار ألم أو وجع مستمر في البطن.
- تغير في شكل أو حجم الخصيتين.
- ظهور دم في البول بدون وجود ألم عند التبول.
- تغير في أنماط الأمعاء.
- حدوث حكة في حلمة الثدي أو خروج دم/إفرازات منها.
- وجود نتوء أو تغير في شكل الثدي (أو الثديين).
- حدوث نزيف مهبلي أو نزول نقاط دم بين الدورات

الشهرية أو بعد سن انقطاع الطمث.

- وجود ألم لا يمكن تفسيره أو متواصل لا ينتهي خلال أسبوعين أو ثلاثة.

مراحل السرطان

يُعتبر مفهوم مراحل السرطان مهمًا لأن العلاج والنجاة من المرض يرتبطان ارتباطًا مباشرًا بمرحلة السرطان في وقت التشـــخيص. سرعان ما يســـمع من يتداخلون مع مرضى السرطان عبارات مثل: «لقد تقدّم إلى المرحلة الرابعة الآن» أو «يقول الطبيب إنه لازال في المرحلة الأولى.» ما معنى هذا؟

تعتبر مراحل السرطان بوجه عام هي من المرحلة صفر إلى المرحلة الرابعة.

- المرحلة صفر تشير إلى الخلايا السرطانية المتموضعة. وهي أضرار قد يشير الطبيب إليها على أنها «ما قبل السرطانية». وهي عادة ما تكون سطحية ولا تتجمع في الأغلب لتكوين ورم عدواني.

- المرحلة الأولى تشير إلى أورام صغيرة بوجه عام موجودة في مكان واحد في الجسد.
- المرحلة الثانية تشير إلى أورام أكبر وأكثر تقدمًا، لكنها لازالت موجودة في جزء واحد من الجسم.
- المرحلة الثالثة متقدّمة محليًا، لكنها قد انتشرت إلى الغدد الليمفاوية التي في هذه المنطقة.
- المرحلة الرابعة تشير إلى أن السرطان قد انتشر فخرج عن موقعه الأصلي إلى جزء آخر من الجسم. ويشار إلى هذا باسم السرطان النقيلي.

يسمّى انتشار السرطان من موضعه الأصلي إلى موضع آخر النقيلي. ينتشر السرطان من خلال النظام الليمفاوي، أو تيار الدم، أو غزو النسيج المجاور. وتكوّن خلايا السرطان هذه أورامًا تابعة جديدة تبدأ في دورة نموها في استقلال في موضعها الجديد ولهذا، فإذا سمعت مصطلح «سرطان الرئة النقيلي»، فهو يعني سرطان الرئة الذي انتشر إلى مكان آخر في الجسم.

هناك شيء يدركه القليلون من الناس، وهو أنه إذا انتشر سرطان الرئة مثلًا إلى المخ، فلا يصبح سرطان المخ؛ بل إنه سرطان الرئة في المخ. وهكذا فإذا انتقل سرطان البروستاتا إلى العظام، لا يكون سرطان العظام، بل سرطان البروستاتا في العظام، وهكذا.

تختلف الأورام الخبيثة عن الأورام الحميدة. فالأورام الخبيثة سرطانية، وتنمو بسرعة، وتميل إلى غزو وتمزيق الأنسجة الطبيعية وإلى الانتشار. أما الأورام الحميدة فهي غير سرطانية ومحدودة في ذاتها. وهي لا تنتشر عادة وليست مضرة في نفسها ومن نفسها. وبالرغم من أنه توجد استثناءات، إلا أنها لا تُعتبر خطيرة وتتطلب علاجًا قليلًا أو لا تتطلب أي علاج.

المُستقبل المُتوقع

أعلم أن هناك الملايين الذين هزموا المرض. واليوم يمكن لحوالي نصف الأمراض السرطانية أن تُشفى بالتمام. وتواصل معدلات العلاج والنجاة من المرض تحسنها. فلم يعد السرطان يعتبر مرضًا ميئوسًا منه.

لكنني بحكم وظيفتي كممرضة للمصابين بالأمراض المُستعصية، فنادرًا ما أرى قصص النجاح هذه التي يُشفى فيها المرضى ويواصلون حياتهم في صحة وسعادة. لقد استنفد مرضاي كل خيارات العلاج ولازال السرطان ينمو. لكنني بالرغم من هذا قد رأيت الكثير والكثير من «قصص النجاح». قد لا يكون هؤلاء المرضى قد هزموا السرطان، لكنهم استطاعوا أن يعيشوا حياتهم حتى النهاية بفرح ونعمة في هدوء.

لا بديل للصلاة

كما قلت من قبل، فإن المعرفة تساعدنا، لكنها ليست بديلًا عن الصلاة.

إن الله هو سيدنا صاحب السلطان. وبيده تأتي البركة والمحنة أيضًا إلى حياتنا. ولهذا فإن الله هو العلاج الحقيقي الوحيد. وبنعمته نُشفى، وبنعمته أيضًا لانُشفى.

عندما يحدث انكسار القلب في حياتك، إياك أن تظن أنه لا يتأثر بألمك. فهو معيننا الحاضر في وقت الضيق.

هو معزّينا وحامينا. إن معاناتنا تُعطى لنا لأسباب محددة مصممة خصيصًا لكل واحد منا. وتحدث الراحة من تلك المعاناة فقط بعد أن تتحقق هذه المقاصد. لكن الكتاب المقدّس يخبرنا أن نذهب إلى الله بكل أحمالنا. يجب أن نلقي بهمومنا عليه. فأبونا السماوي أب متحنن ويحبنا أكثر مما يمكن لأي شخص آخر أن يحبنا!

الإيمان مهم في كل الأوقات. لكن معظمنا يفضلون الحياة التي لا تتطلبه! لو كنا نرسم نحن حياتنا، فكم منا سوف يخصصون لأنفسهم التجارب المؤلمة التي تجعلنا أقوى؟ من المهم بالنسبة لنا أن ندرك أن الله يفعل أشياء لايمكننا أن نفهمها.

لأَنَّ أَفْكَارِي لَيْسَتْ أَفْكَارَكُمْ وَلاَ طُرُقُكُمْ طُرُقِي يَقُولُ الرَّبُّ. لأَنَّهُ كَمَا عَلَتِ السَّمَاوَاتُ عَنِ الأَرْضِ هَكَذَا عَلَتْ طُرُقِي عَنْ طُرُقِكُمْ وَأَفْكَارِي عَنْ أَفْكَارِكُمْ.

(إشعياء ٥٥: ٨-٩)

لا، لا توجد وصفة سحرية تجعل رغباتنا وأمنياتنا تتحقق. فالله ليس جني الفانوس الذي ينتظر لكي ينفذ كل أوامرنا. بل إنه سيدنا. ونحن نعتمد عليه في كل شيء. لذلك يجب أن نلقي أنفسنا على رحمته، ونثق في أنه سوف يفعل ما هو أفضل بالنسبة لنا في كل مرة. قد لا يبدو الأمر كذلك عندما نتألم، لكنه حقيقي.

وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ الأَشْيَاءِ تَعْمَلُ مَعًا لِلْخَيْرِ لِلَّذِينَ يُحِبُّونَ اللهَ الَّذِينَ هُمْ مَدْعُوُّونَ حَسَبَ قَصْدِهِ.

(رومية ٨: ٢٨)

هذا وعد. وعبارة «كل الأشياء» تشمل كل شيء – بما في ذلك السرطان.

لذا اذهب إلى أبيك السماوي في الصلاة. ثم اترك مطلبك في رعايته، عالمًا أنه سوف يمنحك في رأفته ما تحتاجه بالتمام في الوقت الصحيح.

يتلخص الأمر في الثقة

بالرغم من أن الثقة في الله قد تكون صعبة في بعض الأحيان، إلا أن مسئوليتنا كأولاد لله هي أن نثق فيه ...

لماذا يجب أن نثق فيه ...؟ بسبب شخصيته! ولأنه يوصينا أن نفعل هذا. ولأنه قد أظهر لنا مرارًا وتكرارًا أنه جدير بالثقة. إنه كُلّي القوة والقدرة، ولكنه أيضًا كُلّي المحبة والرأفة. إنه أمين بالتمام حتى عندما لا نكون نحن أمناء. وهو محل ثقة بالتمام، حتى عندما نترخ. إنه يحبنا في كل موقف ويعدنا بأن يستخدم قوته ليتمم مقاصده بطرق سوف تنفعنا في النهاية وتجلب المجد لاسمه.

قد لا يعجبنا ما يضعه في طريقنا، لكنه في كل هذا يطلب منا أن نثق فيه.

٣ ما هي الخيارات؟

بمجرد أن تتخطى شلل الإنكار وتتعلّم عن حالة السرطان التي أصابت من تحبه، ما الذي يأتي بعد ذلك؟ كيف تنتقل إلى ما وراء حقيقة المرض ومعرفة سلوكه؟

فيما يلي نظرة عامة مختصرة عن الخيارات المتاحة لمن تم تشخيصهم بأنهم مصابون بالسرطان.

١- العلاج الكيميائي

يعد الهدف من العلاج الكيميائي هو إما القضاء على خلايا الورم أو إيقاف تكاثرها. يمكن إعطاء العلاج الكيميائي في صورة أقراص أو بمواد موضعية، لكن أكثر الطرق شيوعًا هي الحقن الوريدي. إذا كان العلاج

الكيميائي هو الموصى به، فيمكن غالبًا تنفيذه بحيث يأتي المريض لتلقي العلاج ثم يخرج ويأتي مرة أخرى لاستكمال العلاج وهكذا. تتفاوت جداول الجرعات بصورة كبيرة، ويقوم طبيب الأورام بتحديد النظام العلاجي المحدد وجدول العلاج المخصص للسرطان المحدد الذي أُصبتَ به أو أُصيبَ به من تحبه.

يتطلّب العلاج الكيميائي موازنة دقيقة. فيتم اختيار عقار العلاج الكيميائي تبعًا لتأثيره على السرطانات المحددة. فكر فيه مثل السم المخصص لقتل خلايا السرطان. يجب على طبيب الأورام أن يعطي المريض الجرعة الكافية لقتل تلك الخلايا بدون إعطائه الكثير الذي قد يبدأ في الإضرار بالخلايا الطبيعية، وخصوصًا خلايا الدم. لذلك من الضروري أن يتابع طبيب الأورام عداد الدم لكل مريض قبل إعطاء العلاج الكيميائي. في معظم الحالات، يتم سحب عينة من الدم وإرسالها إلى المعمل لاختبارها قبل كل جلسة.

المشكلة في العلاج الكيميائي أنه مصمم للهجوم على الخلايا سريعة الانقسام – وخلايا السرطان عادة ما تنقسم بسرعة. لكن هذا هو الحال أيضًا مع خلايا أخرى في الجسم، مثل خلايا النخاع العظمي، وجدار الأمعاء، وخلايا جذور الشعر (وهو ما يفسر الصلع الذي عادة ما يصاحب العلاج الكيميائي)، أو داخل الفم (ومنها قد تحدث قروح الفم المؤلمة).

ولهذا الأسباب، عادة ما يُعطى مرضى العلاج الكيميائي عقاقير وقائية قبل جرعة العلاج الكيميائي. هذه الأدوية مصممة لموازنة الآثار الجانبية الكريهة للعقاقير القوية – مثل الشعور بالتعب أو القيء الشديد.

يتجاوب الناس بطرق مختلفة مع العلاج الكيميائي. ويتم تحديد الجرعة المحددة أو النظام الغذائي لمن تحبه بهذه الطريقة أو تلك بناء على الكيفية التي يتجاوب بها السرطان مع العقار ومقدار تحمل المريض للآثار الجانبية.

٢- العلاج الإشعاعي

إذا لزم الأمر استخدام العلاج الإشعاعي، يجتاز المريض بوجه عام علاجًا عدة مرات في الأسبوع، وفي المُعتاد يتم هذا بأن يحضر للعلاج ثم يخرج ويحضر مرة أخرى للعلاج وهكذا. ويتم تصميم العلاجات بحيث تخترق أنسجة الجسد إلى موقع محدد يتم تركيز الأشعة عليه. وهي تدمر الخلايا غير الطبيعية في المنطقة المحددة أو تبطئ نموها.

ونظرًا للمُعدّات المُتقدّمة الموجودة حاليًا، نادرًا ما يسبب العلاج الإشعاعي الضرر للخلايا الطبيعية. وتعتمد معدلات الشفاء على مقدار الاكتشاف المبكر للسرطان، أو موقع نموه، أو النوع المحدد للسرطان. في معظم الحالات، تكون العلاجات بدون ألم ولا تستغرق سوى دقائق قليلة.

في حالات معينة، يتم استخدام زرع الإشعاع. في هذا العلاج، يتم زرع حبات دواء صغيرة داخل الورم،

حيث يتم تدمير الخلايا غير الطبيعية من داخل الجسم بدلًا من خارجه. ويستخدم هذا العلاج بصفة خاصة لسرطان البروستاتا أو أورام الغدة النخامية.

في بعض الحالات يكون العلاج الإشعاعي هو العلاج المستخـــدم لمحاولة تدمـــير أو تقليـص الورم الفعلي. وفي حالات أخرى يتم إجراء جراحة لاستئصال الورم ثم يوصف العلاج الإشعاعي لتدمير أية خلايا غير طبيعية باقية قد تكون الجراحة قد أغفلتها.

في الحالات التي تَتقدّم فيها السرطان لما هو أبعد من توقع الشفاء، يمكن أن يكون العلاج الإشعاعي أداة في الرعاية المُسكِّنة (المريحة). ويستخدم أحيانًا لتقليص ورم يسبب ألمًا كبيرًا لكن لا يمكن إزالته أو تدميره بالكامل؛ في هذه الحالات يُتخذ كتدبير للراحة بدلًا من أن يكون تدبيرًا للعلاج.

تشمل بعض أسوأ الآثار الجانبية الممكن حدوثها في العلاج الإشـــعاعي الشعـور بالتعب و/أو الغثيان

و/أو القيء و/أو فقدان الشعر و احمرار و/أو بثور الجلد؛ وكل هذه عادة ما تكون مؤقتة.

٣- الجراحة

عندما يكون الورم لازال في المراحل من المرحلة صفر إلى الثالثة وبالتالي يمكن تحديد موقعه في منطقة واحدة من الجسم، غالبًا ما تكون الجراحة خيارًا واردًا. يقوم الجراح بإزالة الورم والأنسجة المحيطة، ويُرسل العديد من عينات الأنسجة إلى المعمل للتأكد من أن كل الخلايا غير الطبيعية قد زالت ولا يتبقى سوى الأنسجة السليمة. عندما يستلم الجراح تقرير المعمل بالخلو من المرض، يَقفِل الجَرْح ويُرسل المريض إلى غرفة النقاهة. إذا لزم الأمر، يُحال المريض إلى طبيب أورام للعلاج الكيميائي و/أو الإشعاعي الوقائي وذلك لضمان أنه قد تم تدمير كل الخلايا السرطانية. في أوقات أخرى، عندما يقتنع الجراح أنه قد تمت إزالة كل الأنسجة السرطانية، لا يكون هناك احتياج للمتابعة بالعلاج الكيميائي أو الإشعاعي.

إذا كان السرطان قد تَقدّم إلى المرحلة الرابعة، عادة ما لا تتوفر شروط إجراء الجراحة على المريض (بالرغم من أنه قد يوصى بإجراء الجراحة، حتى في المرحلة الرابعة، إذا لزم الأمر للمساعدة في تخفيف أحد الأعراض المزعجة). وبمجرد أن انتشر السرطان في موضع غير موضعه الأصلي، تصبح محاولة إزالة جزء منه فقط مسألة غير مُجدية. هناك أيضًا حالات يتم فيها إجراء جراحة استكشافية لكن يكون السرطان متفشيًا للغاية للدرجة التي يقرر معها الجراح أنه لا فائدة من محاولة إزالته.

٤- دار رعاية المصابين بالأمراض المُستعصية

عند النقطة التي يُخبر فيها الطبيب أحد المرضى أنه لا يمكن فعل المزيد طبيًا، ولا يمكن توقع أي شفاء، يتحول كثير من الناس إلى دار رعاية المُصابين بالأمراض المُستعصية لكي تتولى رعايتهم لبقية حياتهم. يرغب آخرون، لعديد من الأسباب، في دخول هذه الدار منذ وقت التشخيص الأصلي ويهملون كل العلاجات المقصود منها أن تسيطر على السرطان.

كما ذكرت من قبل فهناك الملايين الذين عاشوا بعد إصابتهم بالسرطان. وقد نجوا منه بنعمة الله، بأن استخدموا بعض العلاجات المذكورة سابقًا. كما أني أومن أيضًا أن البعض يختبرون أحيانًا شفاءً معجزيًا من السرطان. فإذا كانوا قد ظلوا على قيد الحياة بعد إصابتهم بالسرطان بأية وسيلة، فهذا أمر رائع! لكن ماذا عن من لا يحظون بمثل هذه النتيجة المحببة؟ ماذا عن من تنكسر قلوبهم لأن واحدًا من أحبائهم على وشك أن يؤخذ منهم؟

في هذا القسم أريد أن أصف الأمور العملية ومنافع الرعاية في دار رعاية المصابين بالأمراض المُستعصية. أرجو ألا تنظر إلى هذا على إنه إحباط، بل تشجيع لمن يخطون خطواتهم الأولى في هذه الرحلة الصعبة.

يعتبر الخيار الذي تختاره أنت ومن تحبه قرارًا شخصيًا للغاية. غالبًا ما تكون هذه الاختيارات مفعمة بالمعلومات الخاطئة والقلق من المجهول وأسئلة «ماذا إذا؟». ولهذا فمن المهم أن نطرد بعض هذه الخرافات ونُقدّم التوجيه

والدعم فيما يتعلق بالطريق الذي ينتظر مرضى السرطان المشرفين على الموت وعائلاتهم.

كلّما يتصل الناس لكي يسألوني عن رأيي في خيارات علاجهم، أقول لهم إنني لا يمكنني أن أتّخذ القرار نيابة عنهم. لكن يمكنني أن أُعلِمهم بفوائد ومخاطر خياراتهم حتى يمكنهم أن يتخذوا بأنفسهم قرارات أفضل وأكثر وعيًا. في أوقات كهذه، يحتاجون إلى فهم واضح لمثل هذه الأشياء. وهم يأخذون المعلومات التي حصلوا عليها (ليس مني فقط بل أيضًا من كل المصادر الأخرى) ويقررون، تبعًا لمواقفهم المحددة وتفضيلاتهم، ما إذا كانت المخاطر تفوق أية فوائد محتملة، ويختارون الخيارات الصحيحة بالنسبة لهم.

يجب على من يريدون أن يواصلوا حربهم ضد مرضهم بكل شيء لديهم أن يسألوا أطباءهم سؤالًا واحدًا: «ما هو الهدف من العلاج بالنسبة لي؟» إذا كانت الإجابة هي أن هناك احتمالًا كبيرًا في الشفاء الفعلي، أقول:

«يجب أن تفعل هذا!» وإلا فربما تجد نفسك تتشكك في قرارك وتتساءل: «ماذا إذا...؟»

بالنسبة للآخرين، ليس الأمر مؤكدًا. صحيح أن أحد الخيارات هو العلاج الكيميائي والخياران الآخران هما العلاج الإشعاعي أو الجراحة. يسافر البعض إلى المراكز المتخصصة في نوعية السرطان الذي لديهم، ويستخدم البعض الأنظمة الغذائية والعلاجات الطبيعية لمحاربة مرضهم. وبما أننا نسير بجانب أحباءنا المرضى، فيجب علينا أن نساند ما يختارون أن يفعلوه أيًا كان.

لكن أحباءنا قد يختارون طريقًا آخر، وهو رفض المزيد من العلاج. إذا كان الرد على سؤالك الخاص بالهدف من العلاج هو «لتأجيل ما هو محتوم»، فربما تكون من بين من لا يختارون أي علاج شفائي على الإطلاق. بعض المرضى عندي في دار رعاية المصابين بالأمراض المُستعصية قد استقروا على هذا الخيار. وهو يقولون لي إنهم قد قرروا أن «يدعوا الطبيعة تأخذ مجراها الطبيعي.»

آخرون يأتون إلى الدار بعد أن استنفدوا كل العلاجات الشفائية. ومعظمهم يخبرونني أنهم بدون العلاج الكيميائي والإشعاعي كانوا في الواقع يشعرون بارتياح أكثر. يعرف أفراد كلا المجموعتين أنهم ربما لن يعيشوا بنفس القدر الذي سيعيشون به إذا سعوا وراء العلاج المكثف أو واصلوه، لكن غالبًا ما يكون الوقت المتبقي لديهم أكثر حلاوة وصحة وإشباعًا بمجرد أن يقرروا ألا يتعاطوا أية علاجات أخرى للسرطان. لكنهم بالطبع سيظلون يأخذون العلاجات التي تخفف ألمهم.

ومن بين الذين قد يختارون خيار عدم السعي وراء العلاج الشفائي، المسنون الذين غالبًا ما تكون لديهم مشكلات صحية متعددة. وأحيانًا ما يتعبون جدًا من صراعات الحياة والأمراض الأخرى للدرجة التي تجعلهم يختارون أن يستمتعوا بالحياة طالما أمكنهم هذا بدون علاج.

أرى أحيانًا أفراد أسرة يحاولون أن يجعلوا أحباءهم يغيّرون رأيهم – أي يحثونهم على تلقّي العلاج الكيميائي

أو الإشعاعي الذي أوصى به الطبيب. كل ما أطلبه هو أننا يجب أن نتذكر أن من يختارون عدم تلقّي أي علاج يستحقون نفس المساندة والاحترام مثل من يختارون العلاجات المكثفة.

لكن لازال الكثيرون يخافون من دار رعاية المصابين بالأمراض المُستعصية. فهم لا يعلمون إن كانت مثل هذه الدار مناسبة لهم أم لا لأنهم لا يفهمون ما هو هدفها.

ما الذي أقصده بمصطلح «دار رعاية المصابين بالأمراض المُستعصية»؟ إنها منظمة مؤلفة من متخصصين (أطباء، وممرضات، ومساعدين، وأخصائيين اجتماعيين، ومشيرين) لديهم هدف مشترك هو إدارة رعاية ذوي الأمراض القاتلة. وهي تركّز على تقديم الراحة لمن يحتضرون والمساندة لأسرهم. والعاملون في مثل هذه الدار يخدمون المرضى أينما كانوا يعيشون. فيمكن للمرضى أن يحصلوا على رعاية تلك الدار في بيوتهم، أو في مرفق تمريض أو في المستشفيات العادية أو في مرفق دار رعاية المصابين بالأمراض المُستعصية التي يقيم فيها المرضى.

أثناء حديثي مع المرضى وعائلاتهم، أحيانًا ما أسمع أن عدم إقبال المريض على الاشتراك في دار رعاية المصابين بالأمراض المُستعصية هو أنه ينتظر حدوث معجزة. بل إن المريض قد يصدق إننا نحاول أن ننتزع رجاءه من خلال اقتراح دخول مثل هذه الدار.

في مثل هذه الحالات، أؤكد لهم أننا سوف نشترك مع المريض في الصلاة والبحث عن علاج معجزي. لا يوجد احتياج للتخطيط للمعجزة. إذا حدثت المعجزة، فسوف يتم إخراج المريض بكل سرور من الدار وسيرجع إلى حياته بفرح متجدد وحمد لله.

لكن هناك بالتأكيد احتياج للتخطيط إذا لم تحدث المعجزة. وهذا هو الموضع الذي يلمع فيه برنامج دار رعاية المصابين بالأمراض المُستعصية – في الإدارة الطبية للمرض، ومساعدة العائلات في رعاية أحباءهم، ومساعدتهم على أن يتكيفوا مع فكرة الفقدان إذ تقترب منهم نهاية الحياة.

هناك فكرة مغلوطة أخرى وهي أنك يجب أن تكون على فراش الموت حتى تصبح جديرًا بمثل هذه الدار. كلا على الإطـــلاق. في الواقع، كـــثيرون من مرضانا قادرون على السفر ورعاية الحديقة والعمل والاستمتاع بالحياة لفترة قبل أن يبدأ المرض في الحد من نشاطاتهم.

لدينا مقولة في الدار وهي: «نحن نعلم أننا لا يمكن أن نضيف أيامًا على حياتك، ولذلك نحاول أن نضيف حياة على أيامك.» قد لا نستطيع أن نوقف ما هو حتمي، لكن في معظم الحالات يمكننا أن نضمن موتًا مليئًا بالهدوء والسلام من خلال الإدارة الدقيقة للأعراض التي تحدث في نهاية الحياة، ومن خلال توجيه ومساندة الأسرة، ومن خلال توفير بيئة آمنة ومريحة للشخص الذي يحتضر.

ما الفوائد التي تقدمها دار رعاية المصابين بالأمراض المُستعصية؟ الكثير!

- ربما تكون أهم فائدة هي أننا نضمن أن لا يضطر المريض وعائلته أن يسيروا هذا الطريق بمفردهم.

- يستفيد مرضى الدار من خبرتنا.
- يحظى مرضى الدار بخط مباشر مع إحدى الممرضات طوال الوقت. وتحظى الممرضة بخط مباشر مع طبيب الدار طوال الوقت.
- يحظى كل مريض بمُساعِدة تمريض معتمدة تساعده في الأمور الصحية والأمنية.
- يستطيع كل مريض الوصول إلى أحد الأخصائيين الاجتماعيين، وإلى قسيس ومتطوع وفي معظم الحالات إلى مشير كتابي متخصص في حالات فقدان الأحباء.
- لايضطر مرضَى الدار فيما بعد إلى تحمل مشقات زيارات الطبيب وإجراءات الإقامة في المستشفى وفيما عدا التدابير الضخمة (مثل دعم الجهاز التنفسي، الانقباض العضلي، نقل الدم، إلخ فإن الدار يمكنها أن تفعل كل ما يمكن فعله في المستشفى في البيت.

لاتتولى الدار رعاية المريض بالكامل. بل تدرب العائلات باستمرار على العناية بمرضاهم بصورة أكثر تخصصية، وبأقل قدر ممكــن من الضــغوط. إننا نريد أن نعــتني بمن يقدمون الرعاية!

لقد ناقشت نقاطًا قليلة تحتاج إلى معرفتها. هناك مسائل مهمة أخرى بخصوص تقدم السرطان يجب أن تُفهم وتناقَش حتى يمكن اتخاذ القرارات المسئولة. مثل هذه المسائل تشمل تعويض السوائل المفقودة والتغذية، وعلامات وأعراض الموت الوشيك، وزيادة راحة من تحبه إلى أقصى درجة، وأمور أخرى متعلقة بالإعداد للاقتراب من الموت.

لا أرى أن هذه القضايا يجب تناولها في هذا النوع من الكتب. يجب جمع بعض المعلومات بطول الطريق، وليس في بداية الرحلة. وقد تناولت هذه الأمور بالمزيد من التفصيل في كتاب سابق لي بعنوان، الغروب: تأملات في الرحلة النهائية للحياة. قد يكون هذا الكتاب مفيداً لمن هم مستعدون أن يتناولوا هذه الموضوعات القاسية.

٤
في يوم خوفي سوف أتّكل على الله

هذا أمر قاسٍ، أليس كذلك؟ لقد مررت بهذه الموضوعات مئات المرات ولازلت أشعر بثقلها على قلبي. وذات مرة، كما قلت سابقًا، مررت بهذا مع شخص عزيز على قلبي.

أثبت أخي جون أنه مثال رائع على كيف يمكن اختبار هذه الرحلة بنعمة وفرح – محافظًا على المنظور والتوجه التقي كل لحظة في الطريق. ما الذي فعله وكان بمثابة قدوة للتوجه الصحيح؟ والأكثر من هذا، ما هو المقياس الذي يستخدمه الله ليرينا الطريق أثناء الأوقات القاسية؟ أرجو أن تجيب هذه الأقسام التالية على هذه الأسئلة.

ماذا نفعل بعد هذا؟

أشير كثيرًا إلى جـــون لأنني أحـــــب أن أتذكّره. لكن الأكثر من هذا أنني أريدك أن تفهم أنني لا أكتب بناء على تكليف بكتابة شيء لا يعنيني، أو أنقر على لوحة المفاتيح من مكان بعيد لا يصلني فيه الألم والمعاناة. بل إنني أشاركك هذه الرحلة.

لقد انكسر قلبي مرات كثيرة بسبب السرطان – ليس بموت جون فقط بل أيضًا عندما فقدت عددًا لا يُحصى من مرضاي وأصدقائي بسبب السرطان. وبعد هذا كله، لازلت لا أفهم كل شيء. ولا يوجد من يفهم كل شيء! لكن من خلال خبرتي في دار رعاية المصابين بالأمراض المُستعصية ، تعلّمت بعض الأشياء التي قد تكون مفيدة للآخرين. ولهذا وافقت على كتابة هذا الكتيّب.

أعلم أن هذا المرض مُرعب ومليء بالقرارات الصعبة. لكن ليس علينا أن نخاف. توجد آية معينة في الكلمة المقدّسة أستند عليها وهي:

فِي يَوْمِ خَوْفِي أَنَا عَلَيْكَ أَتَّكِلُ. اَللهُ أَفْتَخِرُ بِكَلاَمِه.
عَلَى اللهِ تَوَكَّلْتُ فَلاَ أَخَافُ. مَاذَا يَصْنَعُهُ بِي الْبَشَرُ!

(مزمور ٥٦: ٣-٤)

كان الملك داود في موقف يحمل خطر الموت عندما كتب هذه الكلمات. لكنه اتّكل بالكامل على الشخص الذي يعرف أنه فوق كل شيء.

قدّم لنا الرب يسوع المسيح المثال الكامل الذي نتبعه.، ووضع المعيار الذي يجب على المؤمنين الوصول إليه. عندما تألم بصورة رهيبة لكي يدفع ثمن خطايانا، بيّن لنا الطريقة التي يجب أن يكون عليها رد فعلنا. يقول الكتاب المقدّس في **بطرس الأولى ٢: ٢٣**

الَّذِي إِذْ شُتِمَ لَمْ يَكُنْ يَشْتِمُ عِوَضًا وَإِذْ تَأَلَّمَ لَمْ يَكُنْ يُهَدِّدُ بَلْ كَانَ يُسَلِّمُ لِمَنْ يَقْضِي بِعَدْلٍ [الله الآب].

إن يسوع المسيح الذي كان يتمتع بكل القوة وكان يمكنه بسهولة أن يهرب من هذا الألم المطلق، لم يفعل هذا. بل ائتمن الله على نفسه. ألا يجب علينا نحن أيضًا أن نفعل

هذا؟ حتى في السنوات السعيدة المليئة بالصحة، يجب أن نأتمن الله باستمرار على حياتنا – وعلى حياة أحباءنا أيضًا. إنه أمر مهم وحيوي أن نتذكّر أن نتّكل عليه في كل الأمور، بما في ذلك ظروفنا الحالية.

أين الله في كل هذا؟

في المعرفة قوة – وقد سبق لي أن أكدت على هذه الحقيقة. أمر مهم أن تفهم كل ما يمكنك أن تفهمه عن السرطان، لكن الأهم من هذا هو أن تفهم أين يوجد الله في كل هذا. إن ما تؤمن به عن هذا الأمر يحدد بدرجة كبيرة الكيفية التي ستتقبل بها هذا الطريق، والكيفية التي ستكون بها قادرًا على أن تسلك فيه مع من تحبه، والكيفية التي ستعيش بها بقية حياتك.

لا يوجد الله في ثقب ضيق صغير في حياتنا. بل إنه يملأ كل جزء من وجودنا ويقرره، سواء كنا نقر بهذا أم لا! عندما نحد الله في أذهاننا المحدودة في ثقب صغير مترب ومهمل، فإننا بهذا نستبدله في قلوبنا بصورة زائفة!

وبهذا نصبح نحن الآلهة في عالمنا! وهذا أمر خطير. فالله يصف هذا على أنه من سمات الشرير!

الشِّرِّيرُ حَسَبَ تَشَامُخِ أَنْفِهِ يَقُولُ: [لاَ يُطَالِبُ]. كُلُّ أَفْكَارِهِ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ.

(مزمور ١٠: ٤)

هل يوجد مكان لله في حياتك؟

عندما نقول إن الله لا يعجبه أن ننصب أنفسنا آلهة لأنفسنا، فهذا تقليل من شأن الله وانعكاسات مضحكة لجهلنا. فالله يقول بكل وضوح إنه هو الله ونحن ملكه. وهذه بعض الأمثلة:

أَنَا الرَّبُّ إِلَهُكَ الَّذِي أَخْرَجَكَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ مِنْ بَيْتِ الْعُبُودِيَّةِ. لاَ يَكُنْ لَكَ آلِهَةٌ أُخْرَى أَمَامِي.

(خروج ٢٠: ٢-٣)

اُذْكُرُوا الأَوَّلِيَّاتِ مُنْذُ الْقَدِيمِ لأَنِّي أَنَا اللَّهُ وَلَيْسَ آخَرُ. الإِلَهُ وَلَيْسَ مِثْلِي. مُخْبِرٌ مُنْذُ الْبَدْءِ بِالأَخِيرِ

وَمُنْذُ الْقَدِيمِ بِمَا لَمْ يُفْعَلْ قَائِلًا: رَأْيِي يَقُومُ وَأَفْعَلُ كُلَّ مَسَرَّتِي.

(إشعياء ٤٦: ٢-٣)

الحقيقة المحزنة هي أننا نحتاج إلى تذكيرات مستمرة بأنه هو الله ونحن خدامه. والكلمة الأدق هي أننا «عبيده». إذا كنا مِلك للرب، فنحن عبيده، وهي عبودية مُفرحة، لنا فيها امتياز أن نعبد ونخدم ذاك الذي صنعنا في المقام الأول، ذاك الذي يحبنا محبة أعظم مما يمكن لأي قلب بشري أن يحبها أو يتخيلها!

أحيانًا يستلزم الأمر تجربة وضيقة لكي نتذكّر من نحن ومن هو. وللأسف، فالبعض لا يصلّون إلا عندما يشعرون باليأس! دعونا لا نكون مثلهم.

إننا في وسط المعاناة نتعرّف بالتمام على عجزنا وعلى قوة الله. عندما ندرك تلك الحقيقة، يمكننا عندها أن نتحول إليه للحصول على حلول المشكلات التي تهاجمنا. عندما نتذكر أنه هو وحده الذي يمكن أن يحوّل

الأحداث التي تسبب لنا الألم لخيرنا، تصبح صلواتنا توسلات حارة بدلًا من أن تكون طلبات بقلب غير كامل.

كما قلت من قبل، يجب أن نتذكّر أثناء الضيقات أن الله ليس هو جِني المصباح، الذي ينتظر لكي يمنحنا كل رغباتنا، لكنه هو يهوه الله العظيم، صانع السموات والأرض! ما يهم هو أن تتم مشيئته وليست مشيئتنا. إنه هو الله! إنه كبير جدًا وذكي بلا حدود مما يجعله يتخذ القرارات التي لا يمكننا أن نفهمها.

إن الله متداخل في كل جانب من حياتنا: المكان الذي نعيش فيه، والأشخاص الذين نحبهم، والمهنة التي نعمل فيها، وما هي نقاط قوتنا وضعفنا، وما إذا كنا بصحة جيدة أم لا.

في أي حال، يجب علينا أن نُكرم الله بأن نسعى لعيش الحياة التي ترضيه – وليس العكس. إن وجودنا كله يجب أن يعكس هذه الرغبة الشاملة أن نرضيه ونخدمه. يجب أن ننظر إلى حياتنا من خلال هذه العدسة الروحية.

يجب أن نسأل أنفسنا في كل ما يتعلق بكل جانب من كياننا: «كيف يمكنني أن أخدمه بأفضل صورة من خلال هذا؟»

هل فقدت وظيفتك؟ كيف يمكنك أن تحبه وتخدمه وترضيه من خلال هذا؟ هل انجرحت من شخص ما كنت تعتبره صديقك؟ كيف يمكنك أن تحبه وتخدمه وترضيه من خلال هذا؟

هل أصيب أحد أحباءك بالسرطان؟ كيف يمكنك أن تكرم الله وتخدمه وتحبه وترضيه فيما يتعلق بمثل هذه المفاجأة التي تنسف حياتك؟ هل يمكنك من الأصل أن تفعل هذا؟

أجل، ليس هذا ممكنًا فقط، بل إن الله يوصينا به أيضًا! فهو يأمرنا أن نثق فيه في كل شيء! يجب أن نرى الأشياء في حياتنا على أنها في نطاقه هو. والعقبات التي يضعها في طريقنا مصممة لكي تؤدي إلى خيرنا ومجده.

... ادْعُنِي فِي يَوْمِ الضِّيقِ أُنْقِذْكَ فَتُمَجِّدَنِي.

(مزمور ٥٠: ١٥)

هل يأخذ الإنقاذ دائمًا صورة إزالة الأمور الرديئة؟ كلا. هل يعني أن الله سوف يمنحك معجزة؟ كلا، مع أنه ربما يفعل هذا. في الواقع يعني الإنقاذ أن الله سوف يرشدك خلال كل ضيقة، حتى عندما ينتظرك الموت في النهاية. فهو ملجأ وحصن ومرفأ.

يمكننا دائمًا أن نطمئن في محبته. إنني أجد راحة كبيرة في الآية التي تقول:

بِخَوَافِيهِ يُظَلِّلُكَ وَتَحْتَ أَجْنِحَتِهِ تَحْتَمِي. تُرْسٌ وَمِجَنٌّ [حصن] حَقُّهُ.

(مزمور ٩١: ٤)

إنها آية تصويرية وتريحني كثيرًا عندما أشعر أنني أحتاج إلى مكان آمن للراحة محمي بقوته وأمانته.

أجل، إننا عندما نُسلّم إرادتنا لإرادة الله فهذا يُمجّده.

فالخضوع باتضاع يرضيه، ويبيّن محبتنا له واتكالنا عليه في وسط كل تجربة. لكن لا يمكن أن تخرج هذه الحالة الخاصة من النعمة من قلوبنا الخاطئة. والله يعلم أنه يستحيل علينا أن نخضع من أنفسنا وفي أنفسنا. يجب أن يعطينا هو النعمة لنفعل هذا. هو الذي يمدنا بهذا النوع من الإيمان والقوة الذي يمكّننا من أن نجد مثل هذا التفكير غير الأرضي يملك في قلوبنا عندما نسقط على ركبتينا ونقول: «يا رب يسوع، أنا لاأفهم لماذا يحدث هذا، لكنني أعلم أنه قد وُضع في حياتي بيد عنايتك الإلهية. إنني ألقي بنفسي على رحمتك وأطلب منك أن تعطيني كل ما أحتاج إليه لكي أكرمك من خلال هذا الموقف. ساعدني أن يكون لي توجه التسليم الحلو. يا رب. لتكن لاإرادتي بل إرادتك.»

علينا أن نسكب همومنا أمامه، ثم نثق في أنه يجيب صلواتنا بالطريقة التي يراها مناسبة. مرات كثيرة تصورت أنني ألقي بمتاعبي أمام الله وأقول: «حسنًا، ها هي. افعل بها ما تراه الأفضل.»

الجزء الصعب هو أنك يجب أن تعني هذا حقًا! عندما نصل إلى النقطة التي نتّكل فيها بالكامل على الرب في كل شيء، عندها سوف نشعر أننا يمكننا حقًا أن نتخلّى عن رغباتنا ونعيش لكي نطيع رغباته هو. يجب أن ننمي الثقة المطلقة في حقيقة أن مشيئته هي أفضل شيء بالنسبة لنا، سواء وافقنا على هذا أم لا، وسواء كنا نفهمه أم لا. فهو يعطينا ما نحتاجه في الوقت الصحيح.

في نطاق السرطان، يجب أن نفهم أنه إذا اختار الله أن يعطي الشفاء لأحباءنا أو اختار أن يستخدم السرطان كأداة لإنهاء صراعهم الأرضي، فالله على عرشه ودائمًا ما يستخدم قوته بصورة مدروسة وكاملة ومُحبة لأولاده.

إن الحقيقة هي أن الناس يموتون. وكما يقول الكتلب المقدّس في **إشعياء ٤٠: ٦-٨**

كُلُّ جَسَدٍ عُشْبٌ
وَكُلُّ جَمَالِهِ كَزَهْرِ الْحَقْلِ.

يَبِسَ الْعُشْبُ ذَبُلَ الزَّهْرُ
لأَنَّ نَفْخَةَ الرَّبِّ هَبَّتْ عَلَيْهِ.
حَقًّا الشَّعْبُ عُشْبٌ!
يَبِسَ الْعُشْبُ ذَبُلَ الزَّهْرُ.
وَأَمَّا كَلِمَةُ إِلَهِنَا فَتَثْبُتُ إِلى الأَبَدِ.

كلنا سوف نموت بسبب شيء ما! والسرطان مجرد وسيلة تحقق هذه الغاية. يُخبرنا الله أن كل أيامنا المعينة لنا محصاة أمامه منذ بداية حياتنا (**مزمور ١٣٩: ١٦**). ويتم موتنا، مثل حياتنا، بحسب وقته وخطته الرئيسية الإلهية. إن لدينا بداية محددة... ونهاية محددة أيضًا.

تسليم إرادتنا له

لم أكن أريد أن يموت أخي. كنت أريده أن يعيش. لكن جون كان قد وصل إلى نقطة في نضوجه الروحي كان فيها يرغب في أي شيء يرغب فيه الله! وهذه هي النقطة التي كان فيها قدوة رائعة.

لم يخبط الأرض ويصرخ ويجز على أسنانه بشأن هذا التشخيص. صحيح أنه قاوم المرض، لكنه طوال الوقت كان يريد أن تتم إرادة الله. لو كان الله اختار أن يشفي سرطان جون، لكان قد فعل هذا – وكان جون سيظل حيًا حتى الآن. وحقيقة أن الله لم يشفه كانت تعني أنه ليس مقصودًا له أن يعيش أكثر من هذه السنوات الواحدة والخمسين الغالية. وكان جون راضيًا تمامًا بهذا. بل الأكثر من ذلك أنه كان متحمسًا لأنه سوف يقابل مُخلّصه وجهًا لوجه ويتهلل بجماله وقوته وصلاحه.

في الحقيقة عندما تلقى جون خبر إصابته بالسرطان، فجأة بدأ هذا الرجل الذي كان في العموم خجولًا ويفضل دائمًا أن يظل في الخلفية، يُعلن بجرأة صلاح الله في وجه المحنة لكل من كان يصغي إليه. كان يتكلم في الكنائس والمجموعات المدنية، وإلى الطلبة والمعلمين. كان شاهدًا حيًا لكل من يقابله – بدءًا من النادلات والأطباء وحتى المرضى. كان يعيش ما يؤمن به.

كان هناك شيء واحد حاولت أن أفعله له وهو أن أنتظر بسعادة أكثر أثناء الساعات التي كان فيها يخضع للعلاج الكيميائي. كان هذا بالنسبة لنا تجمعًا كل يوم اثنين. وفي أحد هذه الأيام، حظيت بامتياز أن أشهد حوارًا لايُنسى بين أخي ومريضة أخرى.

كنا ننتظر خلو أحد المقاعد في معمل العلاج الكيميائي عندما اقتربت منه امرأة وتحدثت بصوت رقيق. كانت ترتدي وشاحًا حول رأسها مربوط مثل العمة – وهي علامة معروفة على أنها كانت مريضة سرطان أيضًا.

قالت: «أنا لا أعلم إذا كنت تدرك هذا أم لا، لكننا كلنا ننتظر دخولك إلى هذه الغرفة كل أسبوع. إنك دائمًا في غاية السعادة، وترتسم على وجهك ابتسامة كبيرة. إنه تشجيع مذهل بالنسبة لبقيتنا.» وأومأ العديد من المرضى الآخرين وعائلاتهم بالموافقة على هذه الكلمات.

فضحك وقال بابتسامة عريضة: «وما الذي يجعلني غير سعيد؟ إنني مسيحي مؤمن. وأنا أعلم

أن هذا كله جزء من خطة أبي لي. إنه يحبني وسوف يجتاز بي هذا الأمر– بطريقة أو بأخرى. وفي كل الحالات، هذا حسن بالنسبة لي.»

واجهت تلك المرأة، ومعها العديد منا في تلك الغرفة، صعوبة ونحن نحبس دموعنا. لكن أخي ابتسم فقط وقال للمرأة: «أشكرك كثيرًا. لقد كانت كلماتك مُشجّعة للغاية.»

فرجعت إلى مقعدها ومسحت عينيها بمنديل مجعد. وقتها نظرت إلى أخي الصغير بإعجاب لا يمكن إخفاؤه لأنني لم أكن أصطنعه. فقد كان يعني كل كلمة قالها.

أتذكر مثلًا يقول:

كَمَا فِي الْمَاءِ الْوَجْهُ لِلْوَجْهِ كَذَلِكَ قَلْبُ الإِنْسَانِ لِلإِنْسَانِ.

(أمثال ٢٧: ١٩)

كان قلب جون يعكس من هو، والأهم من هذا أنه كان يعكس هوية الذي يحبه. كانت هناك أوقات أردت فيها أن أشجّعه، لكن في كل مرة كنت أنا التي أتلقّى التشجيع والبركة من موقف تسليمه الحلو والمتضع للرب.

لم يهز السرطان «جون ديفيد كون». صحيح أنه أنهى حياته، لكنه انتصر على ذلك المرض. لقد تسامى فوقه. وأكرم إلهه برغم كل شيء، بأن وثق في صلاحه ومحبته.

لقد أراني الطريق. ويمكنه أن يرينا كلنا الطريق بطريقة ما من خلال هذا الكتيّب. يمكنك أن تكرم الله في مواجهة المحنة. لقد قرأت عن هذا في كلمة الله. ورأيت هذا واضحًا أمام عيني في حياة جون – وفي حياة الكثيرين على مر عقود من عملي بالتمريض. وأنا أشكر الله على هذه الخبرات التي لا تُنسى.

كيف يُمكننا أن نُكرم الله من خلال المحنة؟

لم يكن هدفي من كتابة هذا الكتيّب أن أجعل أي شخص «يشعر بالارتياح» تجاه إصابته أو إصابة أحد

أحباءه بالسرطان، أو أن «يشعر بالسوء» على كراهيته له. لكن هدفي هو أن أقف بجوارك بطريقة ما، وأن أساعدك بهذا في تلك الرحلة.

لكن هدفي النهائي من كتابة هذا الكتيّب هو أن أُمجّد الله. أريد أن أُعلن المسيح على أنه المُخلّص الحقيقي الوحيد للرجـال والنسـاء، والمصـدر الوحيد للإيمان الحقيقي، والحل الوحيد لمشكلات حياتنا.

صلاتي أن تكون قد وجدت في هذا الكتيّب المعرفة والراحة والعزاء والتشجيع. لكن هناك هدفًا أكبر في كل هذا – وهو أن يتخطّى تطبيق ما تم تذكيرك به وحثك عليه نطاق السرطان ليشمل كل تجربة ومحنة وضيقة في حياتك – الآن وفي المستقبل.

إذا كان أكثر ما نفكّر فيه هو أهمية تأييدنا لمقاصد الله في حياتنا، فسوف نستطيع أن نهزم المحنة، عالمين أن إرادة الله سوف تتم. ودورنا كتابعين للمسيح هو أن نفعل ما يوصينا به الكتاب المقدّس في **رومية ١٢: ١٢**

فَرِحِينَ فِي الرَّجَاءِ صَابِرِينَ فِي الضِّيْقِ مُوَاظِبِينَ عَلَى الصَّلاَةِ.

في كل صراع مُشتعل في حياتنا، يجب أن نتّكل عليه.

عندما يرى الآخرون هذا التوجه يلمع من خلال قبولنا بفرح لمشيئته، فسوف تكون لنا الفرصة أن نصبح شهودًا أعظم على صلاح الله في وجه المحنة. سوف يتعجب الآخرون، وربما يتساءلون عن ما الذي يمنحنا القدرة على أن نرتفع فوق العقبات التي تقيد الآخرين باليأس. وعندما يفعلون هذا، سوف يكون لنا امتياز أن نخبرهم عن أين يكمن مصدر رجائنا وإيماننا – أي في قلب أبينا المحب.

بهذه الطريقة، لن نرتفع فقط فوق ظروفنا بإكرام مشيئة الله لحياتنا، بل سوف نشجّع الآخرين أيضًا على أن يفعلوا مثلنا. دائمًا ما تصبح التعزية سلعة نطلبها عندما نجتاز في تجربة مؤلمة. لكن يا له من فرح أن نأخـذ وجع القـلب ونستـخدم اختبـارنا وإيماننا في تعزية الآخرين!

مجدًا لله أبينا ولابنه يسوع المسيح. دعني أترك معك الآية المفضلة لدى أخي:

وَلْيَمْلَأْكُمْ إِلَهُ الرَّجَاءِ كُلَّ سُرُورٍ وَسَلاَمٍ فِي الإِيمَانِ لِتَزْدَادُوا فِي الرَّجَاءِ بِقُوَّةِ الرُّوحِ الْقُدُسِ.

(رومية ١٥: ١٣)

مشروعات التطبيق الشخصي

- ضع قائمة بكل أشكال المعاناة التي تُعدّ جزءًا من موقفك الحالي. تأكد من اشتمال القائمة على العذاب الروحي أو العاطفي أو الذهني بجانب المعاناة الخارجية الجسدية. وبعد كل بند اسأل نفسك: «كيف يمكنني أن أمجّد ربنا من خلال هذا؟»
- اقرأ **مزمور ١٣٩**. ما هي الآيات التي تُعبّر عنك بصورة خاصة؟ ما الذي يُعلّمنا إياه هذا المزمور عن الله وخطته لحياتك؟ قارن بين ما تعلّمته من هذا المزمور وبين **رومية ٨: ٢٨-٢٩**. ما الذي يحققه الله من خلال معاناتك؟ هل مطلوب من الله أن يُخبرنا لماذا يفعل ما يفعله قبل أن نطيعه ونثق فيه؟
- اقرأ **مزمور ٤٦**. ما هي المخاوف التي لديك؟ اسردها.

كيف يمكن أن تؤدي معرفتنا أن الله هو ملجأنا وقوتنا إلى طرد هذه المخاوف؟ ما الذي يمكنك أن تتعلّمه أيضًا عن الله من هذا المزمور؟

- اقرأ **يشوع ١: ٥، ٩**. ما هو الحق الذي يعطيك التشجيع والتعزية؟
- احفظ **إشعياء ٢٦: ٣** عن ظهر قلب.
- اقرأ **مزمور ٧٣: ٢٥-٢٦**. هل الله هو صخرة قلبك؟ هل هو نصيبك إلى الدهر؟ هل تشعر بالشبع المُطلق فيه؟ هل تقاومه عندما يحرّك يده لكي يُشكّلك؟ اكتب صلاة لله تعبّر فيها عن صراعاتك وهمومك، وتخبره فيها بأنك تلتفت إليه عن قصد لتنال المعونة، وتُعبّر من خلالها عن ثقتك الكاملة وشبعك فيه وحده. ارجع إلى هذه الصلاة في كل مرة تجد نفس فيها تصارع الضيقة.
- اقرأ **كورنثوس الثانية ١: ٣-٤**. ما القصد من وراء الألم تبعًا لهذا الجزء؟

- اقرأ **إشعياء ٥٣**. قارن هذا مع **بطرس الأولى ٢: ٢١-٢٥**. صف آلام يسوع. كيف كان رد فعله في وسط ألمه؟ هل تظن أنه يفهم ما تجتاز فيه أنت أو من تحبه؟ ما الذي تشجعك **رسالة العبرانيين ٤: ١٥-١٦** على أن تفعله؟
- اقرأ **متى ١١: ٢٨-٣٠**. ما هي دعوة يسوع المُقدّمة لك؟ ما الوعد الذي يُقدّمه؟
- اقرأ **العبرانيين ١٣: ٥-٦**. ما الوعد الذي يُقدّمه يسوع هنا؟ من المُقدَّم لهم هذا الوعد؟ هل تثق في الرب يسوع المسيح، مُخلّصنا ومَلكنا؟

صدر من هذه السلسلة :

١- أعنّي! لقد خانني شريك حياتي.
٢- أعنّي! لقد تعرّض أحد أحبّائي للإيذاء وللإساءة.
٣- أعنّي! إنه يصارع مع الصور الإباحية.
٤- أعنّي! أنا مصابة بسرطان الثدي.
٥- أعنّي! لقد أصيب زواجنا بالفتور.
٦- أعنّي! أحد أحبائي مُصاب بالسرطان.